المقدمة

هذا البحث يتناول أحد شعراء مصر الفاطمية – ظافر الحداد – بمنظور حديث وهو المنظور الأسلوبي الذي ينظر في لغة الشاعر، والعكوف عليها ورصد أهم الظواهر التي وفرت لها الخصوصية والتميز .

واختيار المنهج الأسلوبي منهجاً للدرس راجع إلى قدرة هذا المنهج على مواجهة النص مواجهة لا تغفل جمالياته ولا تتنكر لمنجزات الأقدمين،وتحقق في الوقت نفسه ما يطمح إليه المحدثون من دقة لها روح العلم وتنوع ينشد الشمول،"فجون كوين" ينص على ضرورة التعامل مع النص على أساس من الاختيار والتوزيع في آن واحد بمعنى دراسة الوحدات المكونة للنص بوصفها وحدات مختارة تدرس بمعزل عن بعضها البعض،لكن هذه الخطوة لا بد أن يلحقها التعرف على علاقات الوحدات كما جاءت موزعة في سياقها النصي ويتم تبرير العلاقات القائمة في النص عن طريقتين هما التماثل والتجاور .

ويحصر" أولمان" مستويات التحليل اللغوي في ثلاثة " الصوتي، المعجمي، النحوي ويصبح بوسع التحليل الأسلوبي أن يتدرج على النمط نفسه وعندئذ نبدأ من علم الأسلوب الصوتي الذي يبحث في وظيفة المحاكاة الصوتية وغيرها من الظواهر من الوجهة التعبيرية كما يصبح لدينا أسلوب المعجم للبحث في الوسائل التعبيرية للكلمات في لغة معينة وما يترتب على ظواهر نشأتها وحالات الترادف والإبهام والتضاد والتجريد والتحديد والغرابة والألفة فيها من نتائج،ثم يندرج هذا البحث في تحليل الصور على المستوى نفسه وإن أدى ذلك إلى الصعود المتتابع إلى ما يتلوه،ثم يأتي علم أسلوب الجمل ليختبر القيم التعبيرية للتراكيب النحوية على ثلاثة مستويات أيضاً مكونات الجمل من صيغ نحوية فردية والانتقال من نوع محدد من الكلمات إلى نوع آخر، ثم بنية الجملة أي ترتيب الكلمات وحالات النفي والإثبات وغيرها من الوحدات العليا التي تتألف من جملة بسيطة " (١).

كما يعنى التحليل الأسلوبي بشرح خواص الغموض الدلالية،وعليه أن يتصدى لمراكز دلالة العبارات ويكشف عن جذورها على أساس الطابع الفردي الخلاق لها دون أن يتوهم حصر هذه الدلالة في معنى محيط شامل " (٢).

---

(١) د/صلاح فضل – علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته – منشورات دار الأفاق الجديدة – بيروت – ١٩٨٥ – ص " ١٣٨ ".

(٢) مجلة فصول النقدية القاهرية – الأسلوبية – المجلد الخامس – عدد "١" – ١٩٨٤ – ص "٦٨".

لذلك كانت غايتنا الكشف عن الظواهر ذات التأثير الدلالي الفعال والتي تتراءى آثارها في إبداع الدلالة في النص،وفي تحقيق التأثير الجمالي خلال التلقي،وفى بلورة العلاقة بين النص وبين البيئة التي أحاطت بظافر الحداد،ومن سمات هذا المنهج الاعتماد على الإحصاء حتى يبعدنا عن الأحكام الذاتية لذا لجأنا إلى بعض الإحصاءات،وهذا يساعدنا على تمثل الدور الدلالي للظواهر التي يتميز بها الشاعر فضلاً عن موقفه من هذه الظواهر بوصفها أدوات فنية فعالة.

فهذه الدراسة لا تقدم شاعراً بعيداً عن تداول أقلام الباحثين فحسب ولكنها تضعه تحت مجهر التحليل الأسلوبي؛لتكشف عن القدرات الإبداعية في النصوص لتضع شاعرنا ظافر الحداد في مكانه الصحيح في سجل الشعرية،وهو سجل البقاء والخلود برغم تتابع العصور وتباعد الآماد.

" إن هدف التحليل الأسلوبي الحديث للأشكال البلاغية المختلفة لا يمكن أن يقتصر على مجرد حصرها وتعدادها في النص الأدبي بل لا بد أن يبين أوضاعها المحددة، ويكشف عن علائقها المتناغمة أو المتنافرة بالتركيز على مظهرين، أحدهما معرفة التوظيف البلاغي لهذه الأشكال وقياس مداه ووصفه، والآخر محاولة اكتشاف الأهمية النسبية لبعض هذه الأشكال في نص معين على ما سواها، ودورها في تكوين بنيته " (١)

فهدف الأسلوبية منصب على الكشف عن الأسرار اللغوية والبلاغية،ودراسة مظاهر التنوع والتجانس والتخالف بعيداً عن الأهواء والميول الذاتية واعتماداً على الدراسات الموضوعية وتحليلها.

وشعر ظافر الحداد يفتقد هذا التحليل الأسلوبي الذي يعتمد على النص وحده إذ انصبت الدراسات السابقة على دراسة حياة الشاعر ومقدماته الفنية ودراسة موضوعاته الشعرية،فمن القدماء من ذكر بعض أخباره المنثورة في الخريدة والمغرب ونفح الطيب ومعجم السلفي وبدائع البدائه وحسن المحاضرة وإنباه الرواة على إنباه النحاة وعيون الأنباء والرسالة المصرية ومسالك الأبصار ونهاية الأرب وصبح الأعشى والوفيات والوافي بالوفيات وفوات الوفيات .

ومن المحدثين دراسة الدكتور/ حسين نصار في كتابه " ظافر الحداد – شاعر مصري من العصر الفاطمي " وفيه عرض لنشأته وموقفه من الوجود والطبيعة والمجتمع والثقافة وصناعة الشعر وموقفه من الناس.

---

(١)د/ صلاح فضل – علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته – دار الشروق – ١٩٨٨ – ص٢٩٤.

وأشار إليه الدكتور / محمد كامل حسين في عرضه لشعراء مصر الإسلامية في كتابه " في أدب مصر الفاطمية، ودراسة حماد حسن أبو شاويش " ظافر الحداد حياته وشعره مع دراسة مقارنة مع شعراء عصره " وفيها عرض لحياة الفاطميين السياسية والاجتماعية والثقافية ثم تحدث عن نشأة ظافر والظواهر الفنية في شعره والأغراض الشعرية وصوره الفنية.

لذا كانت هذه الدراسة الأسلوبية لشعر ظافر لتكشف عن بروز الدلالة،والأسباب التي أدت إلى بروزها،وذلك بالتعرف على المستويات " الصوتية والتركيبية والتصويرية " وتحديد مكوناتها وكيفية قيامها بوظيفتها الدلالية في نسق متآلف.

وتحقيقا لغايتي في استخدام المنهج الأسلوبي جاءت الرسالة في ثلاثة أبواب،وصدرت الرسالة بتمهيد حول الشاعر والعصر الذي نشأ فيه وسبب ازدهار الشعر عند الفاطميين وآراء النقاد في شعر ظافر من القدماء والمحدثين .

تحدث الباحث في الباب الأول عن بنية الأوزان وفيه قسم البحور إلى مجموعات حسب كم المقاطع المكونة لها ثم تحدث عن تواترها في مظهريه " التخير وامتداد النفس،وتطرق بعد ذلك دراسة الأوزان وفقاً لمعيارين " الدراسة المقطعية – والبحور الصافية والمزدوجة ".

وختم هذا المبحث بدراسة فن الموشحة كلون من التجديد في شعر ظافر وسبب ظهور هذا الفن إليه.

وتناول الباحث في الفصل الثاني " بنية القوافي " وقد درس الباحث القافية للكشف عن ملامح دورها الإيقاعي،فدرس حروف القافية مهتماً بحرف الروي،ودرس أصوات القافية وفقاً للمخارج و أكثر حروف القافية تواتراً على مستوى الديوان،وقد تلاه برصد نوع القافية من حيث الإطلاق والتقييد،ثم تحدث عن القوافي الوسطى والتي تمثلها ظاهرة التصريع حيث التكثيف الإيقاعي،وأعقب الروي بالمخالفات التي وقع فيها ظافر.

وتحدث الباحث في الفصل الثالث عن موسيقى الحشو " وما تنطوي عليه من إيحاءات إيقاعية، فتناول موسيقى الحرف ومثل بنماذج توضح الدور الذي ينهض به الحرف كركيزة صوتية في التنغيم الإيقاعي،ثم تناول موسيقى اللفظ ومثل لها بظواهرها المتعددة من البنى التكرارية ودورها في الكثافة الإيقاعية،والجناس ودوره في الاختلاف الدلالي من خلال التشابه الصوتي، وتناول موسيقى الجملة وعرض فيه التكرار النحوي المسجوع وغير المسجوع والتكرار الرأسي وما يلعب من دور جوهري في الارتفاع بالنغم وأعقبه بالمقابلة وما تؤديه من توضيح وإبراز للمعنى.

محور من هذه المحاور في الإبداع الفني والدلالي.

وتناول الاستعارة التصريحية وفقاً لطبيعة العنصر الدلالي المذكور، ومن حيث الإطلاق والتجريد والترشيح ومن حيث تركيبها النحوي،ويعرض للاستعارة الفعلية والاسمية والإضافية.

ويختم هذا الفصل بالكناية بوصفها وسيلة تشكيلية بارزة في تصويره الفني.

ثم شرع الباحث في دراسة الصورة الكلية والتي تتكون من التحام الصور الجزئية مع بعضها البعض في رسم لوحة إبداعية مبيناً مكوناتها وخطوطها.

ثم تناول الفصل الثاني مصادر تشكيل الصورة فتناول (الطبيعة) بما تحتوي من نبات وحيوان وجماد فيخلق منها صوراً فنية رائعة،وبذلك يقدم لنا شعراً رائعاً تلذ الأذن بسماعه وتشجي القلوب بمعانيه ومن المصادر التي ساهمت في تشكيل صوره أيضاً (التراث) حيث استمد من القرآن الكريم والحديث الشريف والأحداث التاريخية والشعر العربي ومهنته والاتجاه الحضاري الكثير من الصور.

ثم يسطر الباحث خاتمته ويذكر النتائج التي توصل إليها ويعقب ذلك بثبت بأهم المصادر والمراجع التي استند عليها في كتابة رسالته.

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أقدم أسمى آيات الحب والوفاء والاحترام لأستاذنا المفضال والعالم الجليل الأستاذ الدكتور/ نبيل نوفل أستاذ النقد والبلاغة، على ما أولاني به من رعاية وعناية وعلى ما بذله لي من النصح والإرشاد والتوجيه السديد فأعجز فيضه بياني، وغمرني بعطفه الكبير وسعة صدره وشملني بحبه العظيم فجزاه الله خير الجزاء.